

تفسير البغوي

وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا
فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ^ج وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي^ج
ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا

قوله عز وجل : (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) وكان اسمهما أصرم
وصريم (وكان تحته كنز لهما) اختلفوا في ذلك الكنز . روي عن أبي الدرداء عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : " كان ذهبا وفضة " . وقال عكرمة : كان مالا . وعن سعيد
بن جبير : كان الكنز صحفا فيها علم . وعن ابن عباس : أنه قال كان لوحا من ذهب
مكتوبا فيه : " عجا لمن أيقن بالموت كيف يفرح ! عجا لمن أيقن بالحساب كيف يغفل !
عجا لمن أيقن بالرزق كيف يتعب ! عجا لمن أيقن بالقدر كيف ينصب ! عجا لمن أيقن
بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ! لا إله إلا الله محمد رسول الله " . وفي
الجانب الآخر مكتوب : " أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر
فطوبى لمن خلقت للخير وأجرته على يديه والويل لمن خلقت للشر وأجرته على يديه " وهذا

قول أكثر المفسرين وروي ذلك مرفوعا. قال الزجاج : الكنز إذا أطلق ينصرف إلى كنز المال ، ويجوز عند التقييد أن يقال عنده كنز علم ، وهذا اللوح كان جامعا لهما . (وكان أبوهما صالحا) قيل : كان اسمه " كاسح " وكان من الأتقياء . قال ابن عباس : حفظا بصلاح أبيهما . وقيل : كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء . قال محمد بن المنكدر : إن الله يحفظ بصلاح العبد ولده [وولد ولده] وعترته وعشيرته وأهل دويرات حوله فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم . قال سعيد بن المسيب : إني لأصلي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي . قوله عز وجل : (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أي : يبلغا ويعقلا . وقيل : أن يدركا شدتهما وقوتهما . وقيل : ثماني عشرة سنة . (ويستخرجا) حينئذ (كنزهما رحمة) نعمة (من ربك) (وما فعلته عن أمري) أي باختياري ورأيي بل فعلته بأمر الله وإلهامه) ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) أي لم تطق عليه صبرا و " استطاع " و " استطاع " بمعنى واحد . روي أن موسى لما أراد أن يفارقه قال له : أوصني ، قال : لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به . واختلفوا في أن الخضر حي أم ميت ؟ قيل : إن الخضر وإلياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم . وكان سبب حياته فيما يحكى أنه شرب من عين الحياة

وذلك أن ذا القرنين دخل الظلمات لطلب عين الحياة . وكان الخضر على مقدمته فوق

الخضر على العين فنزل واغتسل وتوضأ وشرب وصلى شكراً لله عز وجل وأخطأ ذو

القرنين الطريق فعاد . وذهب آخرون إلى أنه ميت لقوله تعالى : " وما جعلنا لبشر من قبلك

الخلد " (الأنبياء - 34) . وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعدما صلى العشاء ليلة : "

أرأيتم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم حي على ظهر

الأرض أحد " . ولو كان الخضر حياً لكان لا يعيش بعده " .